الفصل التاسع عشر

صلاة الصلح

وصلاة الصلح عبارة عن تأملات فى خلقة الله للإنسان على غير فساد . ثم سقطة الانسان بحسد إبليس ، الأمر الذى جر عليه الموت وأهواله ، ولكن خلصنا بظهور يسوع المسيح الذى به حل السلام فى العالم ، ذلك السلام الذى تسبحه به عساكر الملائكة قائلين : « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

وعندئذ يهتف الشماس منبهاً بالصلاة من أجل السلامة الكاملة والمحبة . . ثم يستمر الكاهن فى اتمام صلاة الصلح سائلا الله أن يملأ قلوبنا سلاماً وأن يطهرنا من الأدناس والرياء ، ومن كل الشرور ، وأن يجعلنا مستحقين لأن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة لكى نكون أهلا للمواهب الإلهية .

ونلاحظ أنه فى أثناء هذا الجزء من الصلاة ، يكون الكاهن ممسكا باللفافة التى كانت موضوعة على الأبروسفارين ، وهى التى تشير إلى ختم القبر بعد دفن المخلص . وفى رفع هذه اللفافة معنى حل الأختام عن القبر المقدس !!

يطلب الكاهن فى هذه الصلاة أن يملأ قلوبنا من سلامه ، ذلك لأنه حدث يوم قيامة السيد المسيح حينما دخل بطرس ويوحنا القبر ولم يجدا المخلص ، أنهما اضطربا ، وكذا النسوة ارتعبن وتحيرن . لذلك يطلب الكاهن سلاماً للحاضرين المشاهدين ذكرى قيامة السيد المسيح إذ أنه بعد هذه الصلاة سيرتفع الأبروسفارين إشارة إلى انفتاح القبر وقيامة رب المجد .

وبعد هذه الصلاة ينادى الشماس أن « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » ، وهذا دليل المحبة والتسامح حتى نستأهل التقرب من هذه القرابين المقدسة .

وقد جاء فى قانون (رسطب ٣١ ، ٥٢) « ولتقبل النساء النساء ولا يقبل الرجال

النساء » (وفى دسق ٣٤) « ولا يقبل الرجال النساء ولا النساء الرجال ، بل يقبل الرجال الرجال ، والنساء يقبلن النساء » .

وينادى الشماس بالقبلة والمصافحة لأن يسوع قد صنع صلحاً وسلاماً على الأرض (رو ٥ : ١٠) .

ويقبل الكهنة بعضهم بعضاً إذ يجب أن تكون المصافحة والمحبة بينهم ، ولقد قابل هرون أخاه موسى عند جبل الله وقبله ، وبعدئذ اتفقا على العمل على تحرير الشعب . قال رب المجد « وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) .

والآباء يقبلون الأبناء كما قبل يعقوب يوسف . والآب الابن الشاطر والأبناء يقبلون الآباء كما قبل يعقوب أباه اسحق . والأخ يقبل أخاه كما قبل يوسف بنيامين . والجد يقبل الأحفاد كما قبل يعقوب منسى وافرايم . والصديق صديقه كيوناثان وداود . والنساء بعضهن بعضاً كراعوث وحماتها .

وجاء فى كتاب الجوهرة (باب ٧٤) « وكيفية القبلة هى أن يقبل الواحد الآخر فى الناحية اليمنى من عنقه ، ثم يصافح يديه ويعوضه الآخر مثلها .

والعادة أن تكون رسامة ذوى الرتب الكهنوتية فيما عدا رتبة الأسقف بعد القبلة أى بعد صلاة الصلح .

وفى الكنيسة اليونانية بعد منادة الشماس بالقبلة يلحقها بمناداة أخرى قائلا : « الأبواب الأبواب » حتى يغلقوا الأبواب ثم يصلون قانون الإيمان .

ونلاحظ أن القبلة وهى علامة المحبة تأتى بعد قانون الايمان ، حتى يقترن الايمان بالمحبة كما قال الرسول : « إن كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) ، وهذه القبلة علامة اتحاد أعضاء الكنيسة فى جسد واحد وروح واحد ، كما ينبهنا بولس الرسول فى قوله : « جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد وايمان واحد

معمودية واحـــدة إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم ، (أف ٤ : ٤ - ٧) ، ونلاحظ أيضاً أن هناك صلوات صلح أخرى فى القداس الغريغورى والكيرلسى بالنسبة لقداسات كنيستنا القبطية .

وصلاة الصلح فى القداس الغريغورى مطلعها : أيها الكائن الذى كان ، الدائم إلى الأبد ، الذاتى والمساوى والجليس والشريك الخالق مع الآب . . . » .

وفى القداس الكيرلسى نجد صلاة الصلح أولها : « يارئيس الحياة وملك الدهور اللهم يامن تحنو له كل ركبة . . . » .

ومن بعد المناداة بالقبلة يصلى الشعب الأسبسمس الذى أوله : « افرحى يامريم العبدة والأم » . وهو يقال فى الأيام الاعتيادية (السنوى) أو فى أعياد السيدة العذراء أو يقال غيره من الاسبسمات حسب الظروف المختلفة ، والأسبسمس كلمة يونانية معناها (سلام) .

وفى نهاية الأسبسمس يرتلون : « بشفاعة والدة الإله . . . طالبين بشفاعتها أن ينعم الرب لنا بمغفرة خطايانا ، والكنيسة القبطية تعتقد فى شفاعة العذراء كذا القديسين ، وتعلم بأن الشفاعة جائزة وليست بواجبه .

وفى هذه الأثناء يرفع الكاهن بمعاونة الشماس الأبروسفارين مع ملاحظة هزه ورفرفته أثناء رفعه .

والأبروسفارين وقد سبق الكلام عنه ، وهو عبارة عن ستر أبيض من الحرير أو من الكتان ، وقد رسمت عليه رسوم تمثل دفن المخلص وتمثل الأربعة مبشرين ، وقد وضعت عليه الجلاجل . وهو يشير إلى الحجر الذى وضع فوق القبر .

وفى رفع الأبروسفارين معنى تدحرج الحجر عن فم القبر . والشماس فى هذا الموقف يشير إلى الملاك الذى دحرج الحجر .

ورفرفة الأبروسفارين تشير إلى عودة روح المخلص وتشير أيضاً إلى الزلزلة التى حدثت وقت القيامة (مت ٢٨ : ٢) ، وتشير إلى سقوط الملائكة عن كراسيهم

مع رئيسهم بعد عصيانهم وتمردهم ، وما عملوه من اضطراب ، ثم كان الهدوء بعد ذلك لأن بقية الملائكة وفى مقدمتهم ميخائيل رئيس الأجناد ، اظهروا خضوعا وامتثالا لدى العزة الإلهية .

وفى هذا الوقت الذى هو تذكار القيامة المقدسة يصلى الشماس قائلا : « يارب ارحم . يارب ارحم . يارب ارحم . نعم يارب الذى هو يسوع المسيح اسمعنا وارحمنا » .

ونلاحظ أن الكاهن يأخذ اللفافة التى كانت على الأبروسفارين بيده اليسرى والتى كانت فوق الصينية بيده اليمنى .

وعند كشف الأسرار تبقى الكأس مغطاة ، وفى هذا إشارة إلى أن اللاهوت لم يفارق ناسوت السيد المسيح حتى وهو فى القبر ، بل ظل متحداً مع الجسد .

أما يدا الكاهن الماسكة اللفائف فتشير إلى بطرس ويوحنا إذ كانا يقلبان الأكفان ، وما أشبه الصينية بالقبر واللفائف بالمناديل ، والقبة بالعمامة والكأس بالهاوية .

ويمكننا أيضاً أن نفهم أن فى بقاء الكأس مغطاة معنى بقاء روح المخلص فى الهاوية إلى اليوم الثالث ، ثم عودتها إلى الجسد عند القيامة ، وفى كشف الأسرار أيضاً إشارة إلى اكتمال نبوات الآباء التى كانت كبرقع تخفى الحقائق ، وقد قال فيها بولس الرسول : « حتى إلى اليوم إذا قرىء موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم وحين يرجعون إلى الرب يرفع البرقع » (٢ كو ٣ : ١٥) .

وفى كشف الأسرار أيضاً ، ما يذكرنا بأن الكائن على المذبح هو جسد المسيح حقيقة ودمه حقيقة وأن تغطيتها فى بعض الأحيان أو قفل الستر إنما ليدل على قصور عقولنا عن إدراك سموها .